# الفارابي في الشرق والغرب

## ومكانته في الفلسفة الاسلامية

- تتمة -

الاستاذ ضياء الدخيلي

والحقيقة أن سر مكانة الفارابي في الفلسفة كان حديث المتقدمين ولم يزل حديث المتأخرين المصريين. قال الأستاذ (أبو ريده) في تعاليقه على كتاب (تاريخ الفلسفة في الإسلام) المستشرق (دي بور) إذا كان الكندي قد اعتبر فيلسوف العرب تميزاً له عن أقرانه من الفلاسفة غير العرب فإن الفارابي يعتبر فيلسوف المسلمين بالحقيقة كما يقول صاعد الأندلسي في طبقات الأمم وفيلسوف المسلمين غير مدافع كما يقول القفطي في أخبار الحكماء. أما ابن خلكان فإنه يقول في وفيات الأعيان إن الفارابي كان أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته. ويقول ظهير الدين البيهقي في كتابه تاريخ حكماء الإسلام المخطوط في دار الكتب المصرية، وكان أبو علي تلميذاً لتصانيفه، وأورد هذا الرأي الشهرزوري أيضاً في كتابه نزهة الأرواح وروضة الأفراح المصور بمكتبة الجامعة المصرية ويكاد يلمس الإنسان صحة هذا الكلام فيما يفوق الحصر من آراء ابن سينا التي أخذها عن الفارابي من غير تغيير حتى في ألفاظها. ونكاد لا نجد في فلسفته شيئاً إلا وأصوله عند الفارابي. ويقول ديترصي Dieterici في مقدمته لرسائل الفارابي (إن الفارابي مؤسس الفلسفة العربية) (١) والذي يقرأ الفارابي يجد في تفكيره طرافة ونضوجاً وفهماً عميقاً يدل على طول تأمل في الفلسفة. وإذا كان الكندي الفيلسوف العربي كما لمع (دي بور) قريب الصلة بالمتكلمين وبالفلاسفة الطبيعيين — ونستطيع أن نعرف هذا من أسماء مؤلفاته — فقد لا نكون بعيدين عن الصواب إذا

(١) مقدمة رسائل الفارابي لديترصي

تصفحت الكتاب وجدت في ثنايا صفحاته مراجع أخرى غير التي ذكرت قبلا فلم أستطع تجاه ذلك المجهود إلا أن أحني هامتي إجلالا واحتراما لتلك القدرة على الدرس والبحث والاستقصاء التي قلما تتهيأ لكثير من الناس.

ولقد صدر الفقيد ذلك الكتاب الذي نفدت طبعته بمقدمة صغيرة جاءت آية في البلاغة والإعجاز وبرهان صدق على تمسك الفقيه بدينه، واعتزازه بيقينه؛ إذ يقول عن الاسلام (الاسلام هو دين الحق. ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ومحمد خير الخلق وهذا الكتاب وهذا الأثر وهذا تاريخ البشر فاقرأ كتاب كل دين وانظر أثر كل عظيم وفتش صحف التاريخ واحكم إن كنت من الحاكمين. هات، هات وهيهات أن تجد مثل القرآن وحياً أو رقيما، واذكر نظير محمد نبيا أو عظيما إن تذكرت أو تفكرت وتعبت وحققت فمثل القرآن كتاب الله ما أوحى الله وما أنزل، ومثل محمد (صلى الإله على محمد) فمثل محمد في الدنيا ما كان ومثل محمد في العالم ان يكون) ويتحدث عن القرآن فيقول

الضياء قد بهر إشعاعه في حروف وكلمات، والكهربية إلهية تسري في عبارات، والمعجزات — لا الشعبذات — بينات في آيات. وإلهي من لدن الله يسير في الأرض مع الناس هادياً ودليلا ذلكم هو القرآن الذي يتلوه القارئون.

محمد دينه التساوي ودينه العدل والنصفة، فلا شريف ولا مشروف ولا كبير ولا صغير ولا أمير ولا مأمور ولا قبيل أفضل من قبيل ولا قوم خير من (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والفضل بالفضل والتقديم بالفعل وأن ليس للانسان إلا ما سعى

رحمك الله إمام العربية، وأمطر على قبرك شآبيب الرحمة والرضوان جزاء ما أسديت للغته وقرآنه.

فاضل السوافيري

قررنا أن الفارابى أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة وقد كان يحيا حياة الفلاسفة من زهد وانقطاع إلى التأمل

وند كرنى كلمة ( ديترصى ) هذه التى تحدثنا عن إعجاب هذا المفكر الغربى بالطرافة والنضوج والفهم العميق الذى يدل على طول تأمل فى الفلسفة والأمور التى وجدها فى ما دونه الفارابى من الآثار الخالدة -- يذكرنى هذا بما قرأته للعقاد فى رسالته عن ( أثر العرب فى الحضارة الأوربية ) إذ قال إن الآراء الفلسفية التى قال بها أمثال الفارابى والكندى وابن سينا والغزالى وابن رشد وابن طفيل -- لا تعد غريبة كل الغرابة عن مذاهب العصر الحديث لأنها لم تخل عن آراء تكلم فيها أساطين الفلسفة الإسلامية وعرضوا لها إما بالإسهاب أو بالإيجاز ) (١) وقد قال العقاد بعد ذلك ومن المشابهات غير البعيدة ( أى بين آراء القدماء والعصريين ) ما يصح أن يسمى الطور الأول لمذهب التطور ( الذى نسب إلى داروين وكتابه أصل الأنواع ) وقد عبر عنه الفارابى حيث قال فى آراء أهل المدينة الفاضلة مفسراً لأقوال المعلم الأول إن ترتيب هذه الوجودات هو أن تقدم أولا أخسها ثم الأفضل فالأفضل إلى أن تنتهى إلى أفضلها الذى لا أفضل منه . فأخسها المادة الأولى المشتركة والأفضل منها الأسطقسات ( وهى الأصول والعناصر وهى على زعمهم الماء والتراب والهواء والنار ) ثم المعادن ثم النبات ثم الحيوان غير الناطق وليس بعد الحيوان الناطق ( أى الانسان ) أفضل منه . وقد تقدم لديترصى أن اعتبر الفارابى المؤسس للفلسفة العربية ويظهر أن هذا الرأى لم يقتصر على ذلك الكاتب الغربى فقد شاركه فيه بعض المؤلفين فى الشرق فقد جاء فى كتاب ( دروس فى تاريخ الفلسفة ) فى رأينا أن الفارابى ( ٩٥٠ م ) على الرغم من جهل الناس به هو الأب الحقيقى للفلسفة الإسلامية فقد شاد بناءها وألم بأجزائها الرئيسية رابطاً بعضها ببعض ولا نكاد نجد فكرة عند خلفائه إلا ولها أصل لديه ، وكل ما لهؤلاء من فضل غالباً أنهم وضحوا غامضه وفصلوا القول فيما أجمله . ويخيل إلينا أنه أعرف فلاسفة الإسلام بتاريخ الفلسفة لذلك تراه يتحدث عن المدارس اليونانية ويبين الفوارق التى تفصل كل واحدة منها عن الأخرى ويحاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطوطاليس ( فيلسوف اليونان فى رأيه بلا جدال ) وقد ألف كتباً عدة بعضها شرح لمؤلفات أرسطو طاليس أو مختصرات لها وبعضها الآخر كتبه ابتداء ليعبر به عن رأيه وبحثه الخاص وما وصلنا من هذه الكتب كاف لتفهم نظريته ) (١) وفى كتاب ( نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ) أن الفارابى التركى الحكيم المشهور صاحب التصانيف المشهورة فى المنطق والموسيقا وغيرهما من العلوم كان من أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته فى فنونه (٢) ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى فى ( دائرة المعارف ) الفارابى أبو نصر التركى الفيلسوف المشهور هو أكبر الفلاسفة الإسلاميين له تصانيف عديدة فى المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم لم يكن من المسلمين من بلغ رتبته فى فنونه ) (٣) وترى تقارب العبارتين فى الصيغة والمعنى والمبنى ، والظاهر أن مؤلف دائرة المعارف أخذ الترجمة من هذا الكتاب أو كلاهما تطفلا على مؤلف ثالث ، وكان العباس بن على بن نور الدين المكى الحسينى فرغ من تأليف نزهة الجليس سنة ١١٤٨ هـ

ويقول الدكتور حسن إبراهيم حسن فى كتابه ( تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ) ومن أشهر فلاسفة الإسلام أبو نصر ويعتبر أكبر فلاسفة المسلمين حتى لقب بفيلسوف المسلمين بالحقيقة وفيلسوف المسلمين غير مدافع (٤) أما ابن تغرى بردى الأتابكى فى ( النجوم الزاهرة ) فإنه يورد فيمن ذكر التهمى وفاتهم فى سنة ٣٣٩ هـ قوله ( وأبو نصر الفارابى صاحب الفلسفة ) (٥) أما أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ فيكتفى أن يقول فى تاريخه وفى هذه السنة توفى أبو نصر

---

١ ــ دروس فى تاريخ الفلسفة للدكتور ابراهيم بيومى ورفيقه

٢ ــ نزهة الجليس

٣ ــ دائرة المعارف لفريد وجدى

٤ ــ تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى

٥ ــ النجوم الزاهرة

---

٢ ــ أثر العرب فى الحضارة الأوربية

الفيلسوف ثم يتحدث عنه وعن دراسته وأسلوب حياته وأشياء أخرى [١] ولكنه لا يهبه تلك الألقاب الضخمة التي يصفها عليه من ذكره من المؤلفين الآخرين. ويقول ابن النديم من القرن الرابع في ( الفهرست ) ( أبو نصر ... من المتقدمين في صناعة المنطق والعلوم القديمة [٢] وجرجي زيدان من المتأخرين يقول عن الفارابي في كتابه ( تاريخ آداب اللغة العربية ) ( وكان فيلسوفاً كاملا درس كل ما درسه من العلوم وفاق في كثير منها وخصوصاً المنطق ) ويقول الزركلي في ( الأعلام ) الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني أكبر فلاسفة المسلمين ويقول ابن الأثير في ( الكامل ) ( وفيها توفي الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف فيها ) ويقصد بإعادة الضمير من ( فيها ) إلى الفلسفة المفهومة ضمناً. ويحدثنا ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في ( معجم البلدان ) وإليها ( إلى فاراب ) ينسب أبو نصر الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف في فنون الفلسفة [٣]

وهنا نلاحظ أن ياقوتا الحموي وابن الأثير وغيرهما يذكرون في التعريف بالفارابي أنه صاحب التصانيف في فنون الفلسفة فلابد أن تكون فيلسوف المسلمين جملة مؤلفات ولكن المتداول والمعروف منها شيء زهيد لا يثير الكاتب عن الفارابي لأن ينعته ويعرفه بأنه صاحب التصانيف في فنون الفلسفة. ثم إن مؤرخي حياته يقولون إنه كان يقضي حياته بين الأشجار بكتب. إذن فهو مواظب دائب على الكتابة والتأليف منقطع عن الناس منعزل قد توفر وكرس وقته للكتابة وذلك يقتضي أن يكون كثير الإنتاج فأين ذهبت آثاره؟ لا شك في أنه كان له جملة كتب ومؤلفات ضاعت من العالم الإسلامي فيما ضيع من كتب علمائه وفلاسفته بتأثير النكبات وغزوات التتار

والحروب والفتن الداخلية وقد لاقت كتبه مقاومة عنيفة من الغزالي وأنصاره ومن ابن تيمية وأتباعه ومن الحنابلة الذين لعبوا في بغداد أدواراً مهمة في اضطهاد الفلسفة. ويؤيد ما تقدم من ضياع كثير من مؤلفات الفارابي ما وجدته في كتاب ( فصول الحكماء ) إذ روى مؤلفه السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي عن البيهقي أن للفارابي كتباً كثيرة يجهلها الناس وقد قال إن العلامة ظهير الدين البيهقي رأى في خزانة نقيب النقباء بالري كتباً كثيرة من مؤلفات الفارابي لم تطرق سمعه وهي بخط الفارابي ) وهذا مما يؤيده العقل إذا رجع إلى الأسباب المتقدمة

والحق أن الناس قد تحدثوا كثيراً عن مكانة الفارابي في الفلسفة. قال الأستاذ مصطفى عبد الرازق يقولون الحكماء أربعة : اثنان قبل الإسلام وهما أفلاطون وأرسطو، واثنان في الإسلام وهما أبو نصر الفارابي وأبو علي ابن سينا. وكان بين وفاة أبي نصر وولادة ابن سينا حوالي ثلاثين سنة. وكان أبو علي بن سينا تلميذاً لتصانيف الفارابي يعترف أنه لولاها لما اهتدى إلى فهم ما بعد الطبيعة. وكما لقب أفلاطون بالحكيم الإلاهي وأرسطا طاليس بالمعلم الأول لقب الفارابي بالمعلم الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس. وآراء الناس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا. يقول ابن خلكان عن الفارابي ( هو أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس أبو علي بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه ) أما الشهرستاني فيقول عند الكلام على فلاسفة المسلمين ( ومنهم الفارابي وإنما علامة القوم أبو علي بن سينا ) فهو إذن يقدم ابن سينا على من اعتبره ابن خلكان أستاذه

وهذا ابن سبعين الفيلسوف الصوفي الأندلسي الذي يقال إنه انتحر بمكة شوقا إلى الاتصال بالله سنة ٦٦٩ هـ يقول في كتاب له مخطوط ما نصه نقلا عن المجموعة التي نشرها الأستاذ ماسنيون المستشرق الفرنسي المعروف ( وأما الفارابي فقد اضطرب وخلط وتناقض وتشكك في العقل الهيولاني وزعم أن ذلك تمويه ومخرقة ثم شك في النفس الناطقة هل غمرتها الرطوبة أو حدثت بعد وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ما ذكر في كتاب الأخلاق كتاب المدينة الفاضلة والسياسة المدنية وأكثر تآليفه في المنطق وعدة كتبه نحو خمسة وسبعين كتاباً وفيها من الإلاهيات تسعة وهذا رجل أفهم فلاسفة الإسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير، ومات وهو مدرك

---

١ ــ تاريخ أبي الفداء
٢ ــ فهرست ابن النديم
٣ ــ جرجي زيدان والزركلي وياقوت الحموي